المقتطف

الجزء السابع من السنة السابعة عشرة

١ ابريل (نيسان) سنة ١٨٩٣ الموافق ١٤ رمضان سنة ١٣١٠

السحر الحديث

مَن طالع صحف الاخبار الصادرة في اواخر العام الماضي في اشهر عواصم اوربا رأى فيها من المزاعم ما يذهل منه طلاّب المعارف الذين مزّقوا حجب الاوهام وتمسكوا باهداب الحقائق فانها روت من الغرائب التي حدثت في مدينة باريس ما لا يذكر معهُ سحرُ بابل ولا كهانة المجوس . قال بعضهم وقد شهد ذلك بنفسهِ ما خلاصتهُ

دخلت مستشفى الرحمة (بباريس) لاشاهد الغرائب التي تجريها فيهِ امام اطبائهِ المشهورين فجاء احدهم بتمثال صغير من الصمغ الهندي يشبه الانسان شكلاً ولا يزيد ارتفاعهُ على قدم طولاً ثم أتى بفتاة هستيريّة فاجلسها على كرسي كبير وجلس اليها ونوّمها النوم المغنطيسي ووضع يديها على ركبتيهِ وجعل يلمس ذراعيها بيدهِ واخرج التمثال ووضعهُ امامها لكي تنتقل مغنطيسيّتها اليهِ . ثم ابعدهُ عنها ووضعهُ حيث لا تراهُ وجعل يقرصهُ في اعضائهِ فكانت الفتاة تشعر بالقرص وتألم بهِ كأنها هي المقروصة . وذلك اشبه شيء بما ذكر في اقاصيص الاقدمين من ان السحرة كانوا يمثلون انسانًا بالشمع ثم يذيبونهُ على النار او يقطعونهُ بالسيوف فيذوب الانسان الممثّل بهِ او يتقطّع اربًا

وقال الدكتور ليس احد اطباء هذا المستشفى والمدرّسين فيهِ انهُ يأتي بامرأة اعتادت النوم المغنطيسي وينوّمها امام تلاميذهِ ويقول لها انكِ صرتِ الدكتور ليس واقمتهِ في حلقتهِ في مستشفى الرحمة تلقين الدروس على الطلبة في الاستهواء مكانهُ . فتشعر في الحال انها صارت اياهُ وتأخذ تنطق بلفظهِ كأنها تتكلّم بلسانهِ وتشرح مبادئ الاستهواء شرحًا مسهبًا بعبارة فرنسويّة فصيحة وتستعمل الكلمات الاصطلاحيّة كما يستعملها اساتذة الطب . ويُجلس هذا الدكتور

شخصاً على كرسي امامها و يقول لها هذا شخص مصاب بالمستيريا فتوّمه وامشي الاستهواء فيه فتنومه وتشرح درجات التنويم درجةً درجةً الى ان تبلغ الدرجة التي هي فيها وتدوم على ذلك ساعات عديدة الى ان تخور قواها وتقع في سبات عميق

ولما شاعت هذه الغرائب في الصحف السياسيّة و بلغت النوادي العلميّة ولاّها العلماء المجرّبون صفحة الإعراض واستنزلت الحميّة الدكتور ارنست هَرْت[1] فذهب الى باريس وشاهدها بنفسه واثبت فسادها بالامتحان . وقد رأينا بعض الذين زاروا باريس في الصيف الماضي وشاهدوا هذه الغرائب فيها وعادوا مقتنعين بصحتها . ولا لوم عليهم لانهم شاهدوها وذهنهم خالٍ من الشك فيها فلم يكذّبوا ما رأوهُ مرأى العين ولم يخطر لهم ان قوماً مشهورين بالعلم والفضل كالدكتور ليس والدكتور شاركو يخدعون او يخدعون غيرهم ولاسيما لانهما من اطباء اشهر المستشفيات في باريس

ولما كان نقض الاوهام فرضاً على المقتطف مثل إحقاق الحقائق رأينا ان نلخص بعض ما كتبهُ الدكتور ارنست هرت في هذا الموضوع بعد ذهابهِ الى باريس وتفحصهِ عن جميع الغرائب التي تجري في مستشفى الرحمة وغيره

قال : انهُ دخل مستشفى الرحمة فأتي بشخص عصبي من المرضى الذين فيهِ اسمهُ مرڤل تصيبهُ نوبٌ يبس فيها جسمهُ . ولو بقي هذا الرجل في بلادهِ وعولج بالمقويات والماء البارد والاعمال العضليّة في الهواء النقي لجادت صحتهُ وعاش سليمًا ولكنهُ دخل مستشفى الرحمة فمرّن فيهِ على كل ما يهيج اعصابهُ بعمليّة اساليب الخداع . وهاك وصفاً موجزاً لبعض الاعمال التي عملها امامهُ إطاعةً لامر الدكتور ليس

أُجلس هذا الرجل على كرسي كبير ورفع الدكتور ليس اصبعهُ امام عينيهِ فنام حالاً . وذلك غير نادر في الذين اعتادوا النوم المغنطيسي . ثم فتح الدكتور ليس جفنيهِ واراهُ مثالاً صغيرًا ومشى بهِ امامهُ فنهض منتصبًا وسار وراءه التمثال . ولما انتهى طوافهُ في الغرفة اعيد الى كرسيهِ وقُدّم لهُ قضيب من الحديد المغنطيسي فزعم انهُ يرى نورًا ازرق مشعًا من احدى قطبيهِ وضمّ القضيب الى صدرهِ كما تضمّ المرأة طفلها . ومسك واحد القضيب وطاف بهِ في الغرفة فتبعهُ مرڤل في طوافهِ . ثم أُري القطبة الاخرى من قطبي المغنطيس فقال انهُ يرى نورًا احمر مشعًا منها وخاف من هذا النور خوفًا شديدًا . وكانت صورة المغنطيس تؤثر

(١) جرّاح انكليزي ومؤلف مشهور كان محررًا لجريدة التيمز الطبي البريطاني ثم التيمز الصحي ومجلة مدينة لندن الطبي

فيهِ تأثير المغنطيس نفسهِ . وقال انهُ يرى نورًا ازرق مشعًا من احد وَجْهَي الدكتور ليس ونورًا ازرق من الوجه الآخر . وقد علّل الدكتور ليس ذلك تعليلات علميّة اضربنا عن ذكرها لخفائها . وكان الكاتب قد احضر معهُ قضيبًا مغنطيسيًّا ازيلت قوة المغنطيس منهُ بالحرارة فلم يميز مرڤل بينهُ وبين المغنطيس الحقيقي بل زعم انهُ رأى النور الازرق والاحمر مشعّين من قطبَيهِ . وامتحن الكاتب ذلك في ثلاثة اشخاص من الذين يدّعي الدكتور ليس انهم يرون النور منبثًا من قطبي المغنطيس فثبت لهُ انهم لا يميزون بين المغنطيس الحقيقي وبين قطعة من الحديد تشبههُ . وهذا عين ما اثبتهُ الدكتور تندل العالم الطبيعي منذ سنين كثيرة كما ذكرناهُ غير مرّة

ومعلوم ان الحديد يصير مغنطيسًا اذا جرى المجرى الكهربائي عليهِ وتزول منهُ المغنطيسيّة حالما ينقطع المجرى الكهربائي عنهُ فاذا كان مرڤل او غيرهُ يرون نورًا مشرقًا من المغنطيس كما يدّعون وجب ان يروا هذا النور مشرقًا من الحديد كلما مرّت الكهربائيّة عليهِ فصار بها مغنطيسًا وهم يدّعون ذلك ايضًا فجعل الكاتب (اي الدكتور ارنست هرت) يوهمهم انهُ اجرى الكهربائيّة على الحديد فيدّعون انهم رأوا النور منهُ ثم يوهمهم انهُ قطع الكهربائيّة فيدّعون ان النور قد زال وهو في الحقيقة قد فعل ضد ما اوهمهم بهِ تمامًا

ومن الاعمال التي اشتهر بها الدكتور ليس انهُ يضع حلقة مغنطيسيّة حول رأس مرڤل وغيرهِ من المرضى الذين على شاكلتهِ ويزعم انهُ جمع في تلك الحلقة مخاوف انسان مصاب بالسوداء (المالنخوليا) فيشعر مرڤل انهُ اصيب بالسوداء وتبدو منهُ افعال المصابين بها من نحو الغم والكدر وصفر النفس . الاّ ان مرڤل كان يبدي هذه الامارات نفسها اذا ظن ان حلقة الحديد المحيطة برأسهِ صارت مغنطيسًا ولو لم تصر مغنطيسًا وينشرح صدرهُ ويزول ما يخامر نفسهُ من الغم اذا أُوهم ان المغنطيسية زالت من الحلقة . ولما شعر ان الكاتب يخادعهُ تخادعهُ صار ينتبهُ الى كل حركة واشارة تبدو منهُ حتّى لا يخدع ولكنهُ لم يسلم من الخديعة

وقد ادّعى كثيرون ان المغنطيس يؤثر في الانسان بعض التأثير فامتحن ذلك اثنان من الاميركيين على اساليب شتى وكانا يستخدمان اقوى الآلات المغنطيسية ويحوطان ولدًا صغيرًا بقوة مغنطيسية تفوق كل ما استعملهُ الناس الى هذا الحين فلا تؤثر فيهِ اقل تأثير

وامتحن الكاتب ما نشرتهُ صحف الاخبار من انتقال روح النائم النوم المغنطيسي او عواطفهِ الى عقال صغير او الى كأس ماء وذلك في مدام فكس وفي اشهر الشهيرات في انتقال

الارواح على ما وصفهُ الكولونل روشا مدير مدرسة البوليتكنيك في باريس فاخذ كاس ماء واتى بكاس اخرى وصب فيها ماء امامها ونوّمها وعمل الاعمال اللازمة لانتقال شعورها الى هذه الكاس وذلك امام الكولونل روشا نفسهِ وبحسب ارشادهِ ثم بدل هذه الكاس خلسة بالكاس التي اخفاها وجعل يتظاهر كانهُ يقرص الهواء الذي فوق الكاس فتشعر النائمة بذلك وتتململ كانهُ قرَص ذراعها ثم بضم الكاس الى صدرهِ ويتظاهر كانهُ يدلّكها ويلاطفها فيبشُّ وجهُ النائمة وتبرق اسرّتها . وكان قد احضر مثالين صغيرين من مثالين فمسك واحدًا منهما امام وجهها وعمل الاعمال اللازمة لانتقال روحها اليهِ بحسب ما يدّعيهِ الدكتور ليس والكولونل روشا وغيرهما من المخادعين ثم بدل هذا التمثال بالتمثال الآخر خفيةً عنها وقصَّ خصلةً من شعرها وتظاهر كانهُ وصلها بشعر التمثال ولما كان يقص الخصلة تململت وتذمرت وقالت لهُ لقد افرطت (c'est trop, c'est trop) مع انها كانت نائمة على ما تزعم . والظاهر انها حسبت خصلة الشعر اثمن من الاجرة التي دفعها اليها . ثم جعل يقرص التمثال فتتألم كأنهُ قرصها ويشد شعر التمثال في المكان الذي تظاهر انهُ علق خصلة شعرها بهِ فتتألم وتصرخ كأنهُ يشدُّ شعرها . فادار ظهرهُ اليها وجعل يقرص التمثال فلم تعد تميز مكان القرص فصارت تخطئ في شعورها فاذا قرص التمثال في يدهِ اليمنى مثلاً رفعت رجلها حاسبة انهُ قرصها فيها . ووضع التمثال على كرسي وجلس عليهِ فتظاهرت كأنها أغمي عليها . كل ذلك والتمثال الاول الذي نقلت روحها اليهِ كان مطروحًا على المائدة وفيهِ دبوس كبير مغروز في قلبهِ

وكرّر الكاتب هذه الاعمال ثلاثًا وكان الكولونل روشا حاضرًا في المرّة الثالثة فسرَّ بنجاح الاعمال كلها ثم بيّن لهُ الكاتب انهُ ابدل كأس الماء والتمثال واستعمل مغنطيسًا نزعت مغنطيسيتهُ وخادع النائمة في اجراء المجرى الكهربائي على المغنطيس فكان اذا امر مساعدهُ باجراء المجرى يقطعهُ واذا امرهُ بقطعهِ يجريهِ فاندهش الكولونل روشا من ذلك وعلتهُ حمرة الخجل وظهر كأنهُ هو نفسهُ كان مخدوعًا لا خادعًا

وكان الدكتور ليس قد امتحن اعمالاً اخرى امام الكاتب وهي انهُ كان يأتي بقنينة صغيرة فيها الكحول ويضعها على مخرفناة نوّمها النوم المغنطيسي ويقول لها هذا الكحول مسكر فتأخذ علامات السكر تظهر عليها رويدًا رويدًا فتفرح اولاً وتجذل وتغني ثم تسقط عن كرسيها مترنّحة وتظهر عليها كل علامات السكر الطافح . فيعيدها الدكتور ليس الى كرسيها ويجلس فتاة اخرى بجانبها ويصلها بها لكي ينتقل سكرها اليها فينتقل ونحو الاولى منهُ .

واستحضر امامه فعل عقار آخر وهو الفالريانا (حشيشة الهر) وضع قنينة صغيرة منه على جسم رجل منوّم النوم المغنطيسي فجعل هذا الرجل يتململ فقال له الكاتب ما اصابك فقال الدكتور ليس انه لا يستطيع الجواب لانه لم يعد انسانًا بل استحال هرًّا وستظهر فيه اخلاق الهرر وللحال طرح الرجل نفسه على الارض وجعل يدبُّ على يديه ورجليه ويموء كالهرّ ويخمش الارض باصابعه كما يخمشها الهر باظافره ودام ذلك بضع دقائق

وفي اليوم التالي زار الكاتب الفتاة المشار اليها في صدر هذه المقالة وهي التي كان الدكتور ليس نوّمها ويقول لها انها صارت اياهُ فينطلق لسانها بالشرح العلمي على الاستيواء مع انها امية على زعمه لا تعلم شيئًا الاَّ اذا تقمصت به . فرآها الكاتب في بيتها واتفق معها على اجرة معلومة فاصرَّت على ان تحضر معها شخصًا آخر تمخن في فوتها به فاحضرته ونوّمته وجعلت تشرح الشرح الذي كانت تشرحهُ وهي تحت سلطة الدكتور ليس فظهر انها كانت قد تعلمت هذا الشرح غيبًا وهي قادرة ان تتلوهُ وقتما تريد لا كما زعم الدكتور ليس

وكان الكاتب قد احضر قناني مختلفة فيها بعض العقاقير اكي يمخن فعلها بها فلما وقعت عينها عليها قالت ان العقار الجامد لا يؤثر فيها فلا بدَّ من ابدالهِ بعقار سائل فارسل للحال وجلب عقاقير سائلة وهي الكحول وفالريانا وماء الفار الكرزي وماء مقطر ومذوب السكر المحروق . واوعزت الى الذي جلبها ان يكتب على كل قنينة اسم ما في غيرها لا ما فيها ويضع حرفًا على فليتها يدل على ما فيها . ثم نوّمها وقال للمساعد بصوت منخفض اعطني قنينة الفالريانا (عشبة الهر) وكان في هذه القنينة كحول لا فالريانا فاعطاهُ اياها ووضعها على نحرها فجعلت تموء وتلحس يدها وتمسح وجهها كما تفعل الهرة تمامًا وقُدِّم لها لبن في صحنة فجعلت تلغ منهُ بلسانها ولغا كالهرر

ثم اتاهُ بالقنينة التي عليها اسم ماء الفار الكرزي وكان فيها فالريانا فلما ادناها منها جثت على ركبتيها وبسطت ذراعيها كمن يستغيث بالله ثم حنت رأسها وتكتنفت كمن يصلي ويبتهل ثم بسطت يديها ثانية ورفعت رأسها وقد تهلّل وجهها كمن يرى رؤيا بديعة ونادت بصوت شجي قائلة " سنأتي سنأتي وقد تسربلت بالبياض " وكان الرؤيا زالت من امام عينيها حينئذٍ فحنت رأسها خاشعة . وقد رآها الكاتب تفعل مثل ذلك في بيت الدكتور ساجو وفي مستشفى الرحمة ولم يكن في القنينة حينئذٍ شيء من الفالريانا

الآن الدكتور ليس يزعم ان فعل هذه العقاقير حتمي فقد قال على مسمع من الكاتب

ما نصهُ " ههنا مجال واسع للمباحث النفسية تتمكن بهِ من معرفة عقل الحيوان الاعجم . وعندي انسان تحيل طباعهُ الى طباع ديك حينما يدام اليوم المغنطيسي . وقد امرتهُ مرةً ان يبقى متذكراً وهو مستيقظ الحالة التي كان فيها وهو نائم ثم ايقظتهُ وسألتهُ عن سبب صياحهِ فقال كنت مضطرًا الى ذلك فقلت و بماذا كنت تتفكر فقال كنت افكر بدجاجاتي " . وقد امتحن الكاتب جميع العقاقير الطبيّة في الاشخاص الخمسة الذين امتحن ذلك فيهم الدكتور ليس منذ سنين كثيرة وملأ الكتب والجرائد باختباراتهِ واختباراتهم فوجدهم الكاتب خادعين عن علم وروّية اي ان كلاًّ منهم قد تعلّم خواص هذه الادوية المختلفة وفعلها في البدن فاذا لُمس بقنينة منها اظهر الاعراض التي تنتج عن الدواء الذي يظن انهُ فيها سواء اصاب ظنهُ ام لم يصب . ومن الغريب انهُ لم يصب ظن احدمنهم قط في الامتحانات التي امتحنها الكاتب فيهم لانهُ كان يكتب على القنينة مذوب ملح الزئبق مثلاً وفيها مذوب السكر او يكتب مذوب السكر وفيها مذوب الاستركنين ولم يخطر على بال هؤلاء الاشخاص ان الكاتب خدعهم بما كتبهُ على القناني فكانوا يظهرون اعراض الدواء الذي يرون اسمهُ على القنينة

هذه خلاصة الاختاديع التي تجري الآن في مدينة باريس عاصمة المدنيّة الاوربيّة وفي اكبر مستشفياتها وعلى يد بعض الاطباء المشهورين فيها . وان ذلك لدليل على ان الخفة مرتبطة بعقول بعض الناس سواء كانوا في قنار افريقية او في اعظم نوادي العلم والعرفان . ولا يفرق المتحضرون عن الهمج الاّ في ان علماء المتحضرين وفضلاءهم يكشفون خداع الخادعين و ينقذون الناس من غبهم

مزاح الساميين وبداهتهم

قال العلاّمة رنان الفرنسوي في كتابهِ تاريخ اللغات الساميّة " ان الشعوب الساميّة محرومة من الظرف والمزاح " وقد ردّد هذا القول كثيرون من الكتاب قبل رنان وبعدهُ حتّى زعم بعضهم انهُ طاف بلاد الشام فلم يسمع فيها من الاغاني غير الندب والرثاء . وهذا الحكم مثل كل الاحكام المبنيّة على الاستقراء الناقص والبحث القليل يصدق مرّة ويكذب مرارًا

ولا ننكر ان البلايا والمحن التي انتابت مواطن الساميين منذ الني عام الى الآن ذهبت بكثير من بهجة الحياة ورونقها وسلامة الطبع ورقتهِ وان اختلاط العرب بالهنود والفرس